

الخلفاء العباسيون في ظل دولة المماليك

للدكتور عبد المجيد أبو الفتوح بدوي

في هذا البحث سنقدم أولا غرضا تاريخيا موجزا لكيفية احياء الخلافة العباسية في القاهرة بعد سقوطها في بغداد ، ثم تتبع ذلك بمناقشة عدد من القضايا التي أثارت حول هذا الموضوع واستحوذت على اهتمام كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين .

ولعل من المفيد في البداية أن نشير الى أن محاولة المماليك جعل مصر مقرا للخلافة لم تكن المحاولة الاولى في هذا الاتجاه ، بل سبقتها محاولة أحمد بن طولون عندما عرض على الخليفة المعتمد في عام ٢٦٩ هـ / ٨٨٢ م أن ينتقل الى مصر ، وينطلق منها لاستعادة نفوذه الضائع في ظل سطوة أخيه الموفق (١) ثم جاء الاخشيذ فكرر هذه المحاولة في عام ٣٣٣ هـ / ٩٣٥ ساعيا في الظاهر الى تخليص الخليفة العباسي المتقي لله من تسلط الجند الاتراك عليه ، نتيجة صراعمهم على منصب امرة الامراء ، وان كان يهدف في الدرجة الاولى الى أن يصبح صاحب الكلمة العليا في دولة الخلافة من وراء هذه المحاولة (٢) وكما انتهى أمل ابن طولون بالفشل ، كذلك انتهت آمال الاخشيذ باحباط من جانب الخليفة الذي آثر العودة من الرقة ببلاد الشام الى عاصمة ملكه آملا أن يحقق من وراء ذلك المحافظة على سلطانه ولكنه دفع حياته ثمنا لهذه العودة .

واذا كان كلا الرجلين قد أدرك قيمة ما ستضيفه الخلافة على المكان من أهمية اذا ما انتقلت اليه ، فان قوما آخرين أدركوا قيمة ما سيمنحه هذا المكان لخلافتهم من أهمية ، وهؤلاء هم الفاطميون الذين لم ينعمهم

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ٣٩٤ ط دار صادر بيروت .

(٢) المرجع السابق ج ٨ ص ٤١٨ .

نجاحهم في اقامة خلافة لهم ببلاد المغرب ، وتشديد عاصمة مهية لدولتهم هناك ، لم يمنعهم هذا من التطلع الى مصر لتكون مركزا لخلافتهم الشابة الفتية ، مدركين أهمية هذه الخطوة في محاولة بناء دولتهم ، والمحافظة على كيانها ، وتوسيع نفوذها .

الفكرة اذن قديمة . . فكرة نقل الخلافة الى مصر أو اقامتها فيها ، ولكن الجديد في محاولة سلاطين المساليك احياء الخلافة العباسية في القاهرة هو الظروف التي حدثت فيها المحاولة ، هذه الظروف التي تمثلت في القضاء على الخلافة في بغداد . وقتل آخر الخلفاء العباسيين نتيجة الغزو المغولي المدمر ، وما أحدثه هذا الغزو في نفوس المسلمين من احساس بالضياح والمهانة ، الى أن حدثت المعجزة في عين جالوت ، وبدأت فلول المسلمين تستشعر من جديد أن بإمكانها الصمود والمقاومة ، بل والنصر أيضا . وكان من الطبيعي أن يكون من بين هؤلاء بقايا البيت العباسي الذين أفقدهم التدمير والتخريب ، والذبح والتقتيل في بغداد وغيرها أي أمل في احياء سلطانهم الى أن انتصر قطز على المغول فبدأ ذوو الطموح من بقايا أفراد هذه الأسرة يبدلون محاولات لاستعادة عرش آبائهم من يد المغتصبين .

وقد سلك هذا السبيل رجلان : أولهما أبو العباس أحمد الذي يستد نسبته الى الخليفة المسترشد بالله ، وقد وصل هذا الامير الى شام الشام ، ولجأ الى أمير العرب في هذه المنطقة عيسى بن مهنا ، وأقام عنده مدة من الزمن الى أن وصل قطز الى دمشق عقب موقعة عين جالوت ، وعلم بوجوده فأرسل في طلبه ، وبايعه بالخلافة . والتحق بخدمة هذا الخليفة جماعة من أمراء العرب ، ومضوا معه في محاولة لاستعادة ما يقدرون عليه من البلاد العراقية التي استولى عليها المغول ، ونجح أبو العباس — فعلا — في استعادة بعض البلاد : كالحديثة وهيت ، والأنبار ، وحقق بعض الانتصارات . وفي هذه الاثناء حدث مؤامرة الظاهر بيبرس « على المظفر قطز » وتم قتله وهو في الطريق الى القاهرة وتسلطن بيبرس ، فأرسل عن طريق نائبه في دمشق يستدعي الخليفة ، وما أن وصل أبو العباس الى دمشق واستعد للتوجه نحو القاهرة ، حتى علم بأن عباسيا آخر ، هو أبو القاسم أحمد (عم الخليفة المستعصم) قد سبقه الى مصر ، وبويع بالخلافة ، فلم يشأ أن يواصل الرحلة ، وعاد الى حلب ، حيث بويع بالخلافة من جانب عدد كبير من الناس على رأسهم والد الامام ابن تيمية .

ورأى أبو العباس أن يستأنف نشاطه العسكري ضد المغول ، فجمع عددا من أنصاره ، وزحف بهم على « عانة » وهناك وجد الخليفة أبا القاسم أحمد الذى بويغ فى القاهرة ، ومعه فرقة من المحاربين يسعون الى استعادة ما اغتصبه المغول من بلدان الخلافة ، وهناك تم التفاهم بين الرجلين ، واتقاد أبو العباس لآبى القاسم ، واتفقا على أن يواصل رحلة الجهاد معا ، حتى اذا ما التقى الرجلان بالمغول فى احدى المعارك التى هزما فيها لم يعثر لآبى القاسم على أثر ، وفر أبو العباس الى « الرحبة » ملتجئا للمرة الثانية الى أمير العرب عيسى بن مهنا الذى كاتب الظاهر بيبرس فى شأنه ، فأرسل يستدعيه الى القاهرة ، فوصل مع أهله ، وبويغ بالخلافة فى المحرم عام ٦٦١ هـ - ١٢٦٢ م (١) .

هذا استعراض تاريخ سريع لكيفية احياء الخلافة العباسية فى مصر ، وجدناه ضروريا ، كى تتمكن فى ضوءه من مناقشة عدد من القضايا التى أثيرت حول هذا الموضوع وأول هذد القضايا التعرف على هدف سلاطين الممالك القاهرة ، وهو أبو القاسم أحمد ، وكذلك مكانة الخلفاء العباسيين فى ظل دولة الممالك ، ومدى ما كان لهم من نفوذ روحى على الناس ، وأخيرا مدى اعتراف العالم الاسلامى بنفوذ هؤلاء الخلفاء عليه ، حتى ولو كان هذا النفوذ نفوذا روحيا .

القضية الاولى :

وهى تدور كما أسلفنا حول ما أثير عن هدف الممالك ، وخاصة بيبرس من وراء احياء هذه الخلافة ، وهى قضية لم يثرها المؤرخون القدماء - فيما أعلم - لانهم بطبيعة الحال كانوا يرون فى احياء الخلافة عملا رائعا ، أعاد للامة المهزومة أمام جحافل التتار الكثير من الثقة بنفسها ، وايمانها بقدرتها على تجاوز المحنة التى ألمت بها ، أما المؤرخون المحدثون وعلى رأسهم توماس أرنولد وبروكلمان ، وسوبر نعيم فهم يرون أن هذه الخطوة من جانب الممالك قد تمت لتحقيق غايات سياسية عملية ، ولم تكن استجابة لما يجيش فى نفوس الامة من التطلع الى اثبات الذات ، واستعادة الثقة بالنفس ، لذا فهم يرون أن « بيبرس » حاول أن يكسب حكمه صبغة شرعية شأنه فى ذلك شأن أسلافه من الممالك الارقاء . وبعضهم رأى فيها محاولة من جانب بيبرس لتدعيم سلطانه ،

(١) انظر : السيوطى : تاريخ الخلفاء ج ٢ ص ٧٦٠ - ٧٦١ .

ومحاولة للتغلب عن طريقها على أطماع زملائه من أمراء المماليك (١) ويرى
أستاذنا الدكتور علي حسني الخربوطلي أن الذي دفع بيرس الى ذلك
أن المماليك ظلوا يشعرون بأنهم مجرحون لاصلهم غير الحر ، ولأنهم
اغتصبوا ملك مصر والشام من أصحاب البلاد الشرعيين ، فأرادوا بهذا
التصرف أن يصفوا على أنفسهم نوعا من المهابة ، وعلى حكمهم لباسا
من الشرعية ، وعلو المكانة (٢) .

والذي يتصفح هذه الآراء المتعددة يراها تكاد تجمع على أمرين :

أولهما : أن دولة المماليك التي قامت منذ عام ٦٤٨ هـ ظلت تقتصر الى
الشرعية حتى عام احياء الخلافة العباسية في مصر سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦١
أي أنها ظلت أكثر من عشر سنوات دولة غير شرعية حتى جاءت الخلافة
الى مصر فنحتها هذه الشرعية التي كانت تقتصر اليها . وهنا يمكن أن
نعود الى الوراء قليلا لتسائل عن موقف الخليفة المستعصم (آخر خلفاء
بغداد) من دولة المماليك حين قامت ، هل رفض الخليفة أن يعترف بدولتهم
أن الخليفة لم يرفض الاعتراف بهذه الدولة ، وإنما وجه اعتراضه آنذاك على
اختيارهم امرأة لتكون سلطنة على مصر ، وأذن المماليك ساعتهما لرغبة
الخليفة ، وتنازلت « شجر الدر » عن السلطنة لزوجها معز الدين أيك (٣)
ثم بعد ذلك وجدنا رسل الخليفة المستعصم تتردد على مصر ، وكثيرا ما
تدخل الخليفة بين الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي (أمير دمشق)
والمماليك في مصر كي ينهوا خلافاتهم ، ويقفوا صفا واحدا ضد الغزو
المغولي المرتقب ، بل أن الخليفة بعث رسولا من قبله في عام ٦٥١ هـ
١٢٥٣ م ليشارك في وضع أسس للاتفاق ، وارساء قواعد الصلح بين
المماليك والأمير الأيوبي ، واتفق الطرفا ن على أن يمتد تفوذ المماليك الى
الاردن ، ويكون للناصر ما وراء ذلك حتى شمالي الشام (٤) ألا يعني
هذا اعتراف الخليفة في بغداد - ولو ضمنا - بشرعية حكم المماليك ؟
ثم هل كان المماليك فعلا في حاجة الى الاعتراف بشرعية وجودهم في الحكم

(١) انظر : د. علي حسني الخربوطلي : غروب الخلافة الاسلامية
ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، وكذلك : تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بروكلمان
ج ٣ ص ٦٤ ، ودائرة المعارف الاسلامية ج ٨ ص ٨٧ ط الشعب .

(٢) غروب الخلافة الاسلامية ص ١٤٤ .

(٣) انظر : المقرئزي : انسلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ومرة
الزمان ج ٨ ص ٧٨٩ .

بعد أن تحقق لهم ذلك النصر الهائل على المغول ، وكسروا شوكتهم ، وأوقفوا مدهم الى الأبد ؟ أكان المماليك في حاجة الى الشرعية وهم الدولة الاسلامية الوحيدة التي وقفت شامخة متماسكة أمام هذه المحنة ؟ !

الأمر الثاني : أن هذه الآراء تتجاهل تماما مشاعر الرأي العام المسلم الذي كان يحس بمرارة الهزيمة ، وغنفا ، وثقلها على النفس ، ولا شك في أن هذا الرأي العام كان يحلم يوم تستطيع فيه الخلافة التي سقطت أن تنهض من جديد ، لتظل برأيتها جميع المسلمين مرة أخرى . فم لا يكون حرص المماليك على احياء الخلافة - كان في بعض جوانبه - استجابة لما يعتل في نفوس المسلمين من مشاعر تجاهها ، وما يتجاوب في قلوبهم من أصداء نحوها ، ولعل ما يؤيد هذا أن فكرة احياء الخلافة في القاهرة جاءت لاحقة لفكرة احيائها في بغداد ، فالخليفة أبو العباس أحمد عندما بايعه قطز في الشام جمع رجاله ، وعاد الى موطن الآباء محاولا احياء الخلافة هناك ، وكذلك الخليفة أبو القاسم أحمد عندما وصل الى القاهرة وبويع بالخلافة طلب من الظاهر بيبرس - في أول خطبة له - أن يعينه على استعادة موطن آبائه ، ومقر ملكهم فقال له : « وبك يرجي أن يرجع مقر الخلافة الى ما كان عليه في الايام الاول » (١) وقد استجاب السلطان لرغبته وجهز له عسكريا توجه به الى العراق ، وقاتل في سبيل هذه الغاية حتى قتل ، ثم ألا تعكس لنا بيعة أبي القاسم أحمد في الشام من قبل جمع كبير من عامة الشعب ، وعلى رأسهم والد الامام ابن تيمية ، ألا يعكس لنا ذلك الامل الذي كان يداعب خيال المسلمين تجاه احياء الخلافة في تلك الحقبة الالية من تاريخهم .

ليس معنا هذا أننا نرفض أن يكون المماليك ، وعلى رأسهم بيبرس قد فكروا في مدى الاستفادة من احياء الخلافة العباسية في مصر ، ولكننا نقول : ان هذا لم يكن البداية ، وانما تم في مرحلة تالية ، وأن هذه الافادة كانت شيئا آخر غير الحصول على الشرعية التي رماهم المؤرخون المحدثون بأنهم حكموا عشر سنوات وهم خلوا منها . لقد كان الهدف من احياء الخلافة في القاهرة أن يتيح هذا الامر لسلطين المماليك فرصة قيادة العالم الاسلامي ، وأن تصبح مصر بؤرة الاشعاع بالنسبة لهذا العالم وقد يسر عليهم احياء الخلافة في مصر هذا الامر ، لانه لم يكن من السهل على أمراء العالم الاسلامي أن يعلنوا الخضوع لأمراء المماليك ،

(١) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٥٦ .

وهم من وجهة نظرهم مجموعة من الممالك الارقاء . ولقد استطاع الممالك بالتصارعهم في « عين جالوت » أن يدعموا مركزهم السياسى أمام خصومهم وأن ينتزعوا منهم الاعجاب والاعتراف بقدرتهم على قيادة الامم ، وسياسة الدول ، ثم جاء احيائهم الخلافة ، فخطا بهم خطوة أخرى في هذا السبيل مكنتهم من أن يصبحوا سادة العالم الاسلامى ، وقادته لفترة من الزمن ، ولقد وضع أثر ذلك في علاقاتهم بغيرهم من أمراء المسلمين ، فكانوا يدلون عليهم بوجود الخلافة في ديارهم ، ويرون أنهم من أجل هذا يجب لهم السمع والطاعة على كل ملوك المسلمين . فعندما ورد على السلطان « برقوق » خطاب « تيمور لك » يتهدده فيه ويتوعده ان لم يدخل في طاعته رد عليه متهددا متوعدا ، رافضا الاذعان بالطاعة معللا هذا الرفض بقوله « أبعد أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، تطلبون منا طاعة ، لاسمع لكم ولا طاعة » (١) ومعنى هذا أن ممالك مصر كانوا يرون دولتهم أساس الخلافة الناجبة الطاعة على كل ملوك المسلمين . ولعل هذا يفسر لنا التغير الذى نراه على تفكير بيبرس . وجعله يحرص على احياء الخلافة العباسية في القاهرة - وليس في بغداد - الامر الذى جعله يتقاسم عن مد يد العون للخليفة المستنصر أبى القاسم أحمد بالقدر الذى يمكنه من التغلب على المغول أو النصوصد أمامهم ، وذلك عندما نبهه أمير الموصل الى خطورة احياء الخلافة في بغداد على الكيان السياسى لدولة الممالك (٢) .

القضية الثانية :

وهذه تتعلق بتحقيق نسب أول خليفة عباسى بوبع في مصر وهو المستنصر أبو القاسم أحمد : فجمهور المؤرخين يصحح نسبه ، ولم يشكك في صحة هذا النسب الا أبو الفدا (صاحب المختصر) ثم تبعه فى هذا التشكيك بعض المؤرخين كابن الوردي الذى نقل رواية أبى الفدا ، وأضاف اليها اعتراضا فقهيا على طريقة اثبات نسب هذا الخليفة التى تمت في القاهرة . وأبو الفدا لم يذكر سنداً واحداً يعتمد عليه في التشكيك في صحة هذا النسب ، وانما فهم من كلامه أن سنده في هذا هو أن الخليفة

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١٢ ص ٥٢ .
(٢) يقول المقرئى : « وكان السلطان قد عزم ان يبعث مع الخليفة عشرة آلاف فارس حتى يستقر ببغداد ، ويكون اولاد صاحب الموصل في خدمته ، فخلا أحدهم بالسلطان ، وأشار عليه الا يفعل ، فان الخليفة اذا استقر امره ببغداد نازعك وأخرجك من مصر ، فرجع اليه الوسواس ولم يبعث مع الخليفة سوى ثلاثمائة فارس (السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٦٢) .

كان أسودا ، وظل يلقبه - وهو يتبع أخباره بالتسجيل - بالخليفة
الأسود . وواضح أن هذا ليس سببا موضوعيا يمكن الاعتماد عليه ، فمن
المعروف أن كثيرا من خلفاء بني العباس وأمرائهم كانوا يتخذون من الأماء
أمهات أولاد ، ومن بين هؤلاء الأماء من كن من السودان أو الإحباش ،
ومن الممكن أن ينزع الولد الى أمه ، ولقد أشار الحافظ الذهبي في كتابه
(دول الاسلام) الى أن أم المستنصر هذا كانت أمة حبشية (١) .

اذن ما الذى دفع أبا الفدا الى أن يسلك غير سبيل جمهور المؤرخين ،
ويشكك في صحة نسب الخليفة ؟ في الواقع لم نجد سببا غير أن أبا الفدا
من الأيوبيين من نسل تقي الدين عمر (ابن أخى صلاح الدين) وقد ظلت
أسرته تحكم حماة نيابة عن سلاطين المماليك حتى عام ٦٩٨ هـ - ١٢٩٨
ثم أخضعها المماليك لحكمهم المباشر ، وقد قال أسرة أبى الفدا الكثير من
العسف ، ومصادرة بعض اقطاعاتهم على يد أول وال مملوكى على حماه ،
الأمر الذى دفع أبا الفدا الى مغادرة وطنه ، والاقامة في دمشق فترة من الزمن
وظل يجاهد ، ويتربص من الناحية محمد بن قلاوون حتى أعاده الى حماة ،
ورد عليه حكم أهل بيته مرة أخرى (٢) فلعل أبا الفدا وهو الأيوبي المهيض
الجناح على يد المماليك قد نظر الى خطوة احياء الخلافة بغير عين الرضا ،
لأنها مكنت لمقتضى عرش آبائه من الاستمرار والاستقرار ، ومن ثم عمد
الى التشكيك في نسب الخليفة العباسى .

على أن أبا الفدا وان كان قد عجز عن الاتيان بسبب موضوعى مقنع
بقلب شكه الى يقين ، فاتا أيضا عاجزون عن الاتيان بنفس السبب
للوصول الى الحقيقة في هذه القضية ، وان كنا لا نعدم مرجحات تصحح
هذا النسب منها : الاعراب الذين وفدوا مع الخليفة ، وشهدوا على صحة
نسبه ، وفي هذا يقول ابن خلدون : « أن القاضى أثبت نسب الخليفة
المذكور بشهادة العرب الواصلين معه بالاستفاضة ، ولم يكن شخصه
خفيا » (٣) ومنها وهو الأهم أن هذا الخليفة لو كان دعيا في هذا النسب
لتح بما وصل اليه من تمام بيعته خليفة في القاهرة ، ولم يكن حريصا

(١) دول الاسلام ج ٢ ص ١٦٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٤ .

(٢) انظر : ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج ٤ ص ٤٢ ، ٥٩ ،

٦٠ .

(٣) العبر وديوان المبتدا والخبر ج ٣ ص ٥٤٠ ط بولاق .

على احياء ملك آباءه في عاصمة خلافتهم ، معرضا نفسه لمخاطر مروعة عاينها الناس وعانوها ، ومع ذلك يصر على السير لاسترداد ملك آباءه المفتصب بحد السيف ، في ظروف تتضاءل فيها فرص النصر ، ويتمذر في ظلها تحقيق الهدف المنشود .

القضية الثالثة :

وهي خاصة بمكانة الخلفاء في ظل دولة المماليك ، ومدى تفوذهم في هذه الدولة . ويكاد المؤرخون المحدثون يجمعون على أن هذه الخلافة التي قامت في القاهرة كانت مظهرا شكليا ، خلوا من أى تأثير ، وحتى بيعة الخلفاء للسلطين « كانت أمرا سوريا لا يقدم ولا يؤخر في توطيد عرش السلطان أو زعزعته ، ولكنه كان تقليدا اتبع منذ عهد بيبرس ، وعادة اصطاح عليها في تلك الفترة من تاريخ مصر الاسلامية » (١) ومن الواضح أن هؤلاء المؤرخين اعتمدوا على ما ذكره بعض المؤرخين القدماء في تقرير هذه الحقيقة ، وعلى رأسهم المقرئى الذى يقول عن الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد في حوادث سنة ٨٠١ هـ ١٣٩٨ م أهل هذا القرن التاسع ، وخليفة الوقت أمير المؤمنين المتوكل على الله ، ليس له من أمر ولا نهى ولا تفوذ كلمة ، وانما هو بمنزلة واحد من الأعيان (٢) ويذكر في حوادث سنة ٨٢٨ هـ - ١٤٢٤ أن هذه السنة دخلت ، والخليفة هو المعتصم بالله أبو الفتح داود بن المتوكل وليس له من الخلافة الا مجرد الاسم (٣) .

ونحن وان كنا نسلم مع هؤلاء المؤرخين بأن هذا فعلا كان حال معظم الخلفاء العباسيين في ظل دولة المماليك ، فان لنا تحفظين على هذا الحكم : أولهما : أنه لم يكن بإمكان الخلفاء أن يحققوا لانفسهم منزلة أسمى من المنزلة التي احتلوها في دولة المماليك ، نظرا للظروف التي تم احياء الخلافة في ظلها . . هذه الظروف التي جعلت المماليك أصحاب فضل في بعث هذه الخلافة من مرقدتها مرة أخرى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان هذه الخلافة قد قامت في أحضان سلاطين أقوياء يتمتعون بكامل تفوذهم وسيطرتهم على كل الامور في دولتهم ، ولم يكن من المعقول

(١) غروب الخلافة الاسلامية ص ١٥١ .

(٢) السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٩١٥ .

(٣) المرجع السابق ج ٣ ق ٢ ص ٦٧٧ .

أو الميسور أن يتخلى هؤلاء عن تفوذهم أو عن بعضه لصالح الخلافة ، دون ما حاجة تدفعهم إلى ذلك دفعا ، ولم يكن هذا افتتاحا من جانب الممالك على الخلافة ، حيث مضت قرون وقرون وهي متخلىة عن سلطانها الزمنى ، قانعة بما لها من تفوذ روحى على الناس ، وذلك منذ بدأ تسلط الجند الاتراك على الخلافة فى عام ٣٣٣ هـ - ٨٤٦ وحتى عندما تمكن الخلفاء فى عام ٥٩٢ هـ - ١١٩٣ من استعادة سلطتهم الزمنية بعد سقوط دولة سلاجقة العراق ، انكسرت هذه السلطة ، وانحصرت فى بغداد وأجزاء متفرقة من العراق ، وعلى هذا نرى أن الممالك عندما أحيوا الخلافة العباسية ، لم يسلبوا الخلفاء تفوذا زنيا كانوا يتمتعون به ، وإنما هذا كان حالهم ، ولم يكن من المتوقع أن يقدم لهم الممالك ما يتمتعون به من تفوذ هدية لهم ، ومع ذلك فانا نستطيع أن نقرر أن وضع الخلفاء العباسيين فى ظل دولة الممالك كان أفضل بكثير من وضعهم فى ظل سيطرة الجند الاتراك ، وهي مرحلة متقدمة فى تاريخ الخلافة العباسية ، بدأت بعد مائة عام فقط من قيامها ، فغاية ما حدث للخلفاء فى ظل الممالك عندما كانت تصطدم طموحات الخلفاء بتجبر السلاطين هو الحبس أو النفى ، وهي حالات محدودة ونادرة فلم تقع جريمة قتل واحدة أو تعذيب لخليفة ما فى ظل دولتهم ، وهذا بعكس ما حدث لخلفاء بنى العباس فى بغداد وهم تحت سيطرة الجند الاتراك ، أو البويهيين حيث قتل وعذب عدد كبير منهم . والسبب فى ذلك أن الجند الاتراك كانوا يرون فى قهر الخلافة واضعافها وسيلة الى استمرار تفوذهم ، واحكام قبضتهم على دولة كانا المفروض فيها أنها دولة الخلافة ، ولم يكن هذا احساس سلاطين الممالك ، فالدولة دولتهم ، والخلافة رمز روحى يجعل من دولتهم مركز العالم الاسلامى ، اليها تتجه القلوب ، ومنها تستمد الدول الاسلامية شرعية وجودها لذا كان الحفاظ على الخليفة ، واحاطته بمظاهر التوقير والاحترام - وان لم يكن له من الامر شئ - أمرا ضروريا ، وحتى فى بعض الاوقات التى تحرش فيها بعض الخلفاء بالسلاطين لم ينلهم من الاذى عشر معشار ما نزل بأبائهم فى بغداد .

وهذا ينقلنا الى التحفظ الثانى على ما ارتآه المؤرخون المحدثون استنادا الى ما ذكره بعض القدماء . فنحن وان سلمنا معهم بأن الخلفاء فى ظل دولة الممالك لم يكن لهم تفوذ محسوس ، ولا دور فى صنع الاحداث ، ، فانا لم نوافقهم الا على اعتبار أن ذلك الحكم هو فى الاعم الاغلب ، ولكنه لا ينسحب بالضرورة على مجموع الخلفاء ، والا فان منهم

من كان له دور ايجابي فيما واجه الدولة من مشكلات ، بل كان له دوره في ترجيح كفة أحد الامراء المتصارعين على النفوذ والسلطان ، وكان الخليفة يعتمد في ذلك كله على ما له من نفوذ روحي في نفوس العامة والجند على السواء ، وستذكر نماذج لهؤلاء الخلفاء :

في عام ٧٧٨ هـ - ١٣٧٦ خرج السلطان الاشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون الى الحج ، وكان بصحبته الخليفة المتوكل على الله محمد . وفي الطريق عند العقبة ثار أمراء الماليك على سلطانهم ، ففر منهم الى القاهرة ، فقبض عليه وقتل بعد أن أعلن كبار الماليك في مصر خلعه ، وتولية ابنه المنصور على . وأثناء ثورة الماليك على الاشرف بالعقبة طلبوا من المتوكل أن يتولى أمور السلطنة بجانب الخلافة ، فرفض وعاد الى القاهرة (١) وقد استطاع الامير « أينبك » البدرى أن يتغلب على أمراء الملك المنصور ، ويستبد بتدبير الامور في المملكة ، وقد عن له أن ينقل الملك من بيت « قلاوون » فاستدعى الخليفة المتوكل على الله ، وطلب منه أن يبايع الامير أحمد بن الامير « يلغا » العسرى بالسلطنة فرفض ، واحتج بأنه ابن أمير ، وليس من بيت الملك ، وعندما أسر الخليفة على موقعه سبه أينبك ، وأعلن خلعه ، وتولية زكريا بن ابراهيم العباسي الخلافة ، ثم أمر بنى المتوكل الى مدينة « قوص » ولكن « أينبك » لم يستطع أن يتساقط في موقعه هذا بعد أن نبهه أمراء الماليك الى خطورة هذا العمل ، ونصحوه باسترضاء المتوكل ، فأرسل اليه حاجبه يعتذر اليه عما بدر منه ، وعاد الخليفة الى منصبه بعد ستة عشر يوما فقط من قرار عزله (٢) .

ويبدو أن الخليفة المتوكل على الله كان حريصا على أن يظل الملك في بيت قلاوون ولذا لم يقابل تغلب الظاهر برقوق على السلطنة في عام ٧٨٤ هـ - ١٣٨٢ بارتياح ، وعلى الرغم من أنه بايعه ، وفوض اليه تدبير أمور الرعية كما هي العادة الا أنه سعى في التخلص منه ، وحاول أن يستقطب عددا من كبار الامراء يعينوه على ما عقد العزم عليه ، فبعد عشرة شهور - تقريبا - من سلطنة برقوق ، اكتشف مؤامرة تدبر ضده ، وكان على رأس مدبريها الخليفة المتوكل الذي طلب من بعض الأمراء أن يعينوه على تحقيق هدفه ، ذكرا لهم أن برقوق وأعوانه ظلمة ، وأنهم استولوا

(١) السلوك ج ٢ ق ١ ص ٢٨٥ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٥٢ - ١٥٥ .

على الملك بغير رضاه ، وأنه لم يقلده السلطنة الا غصبا ، واتهمه وحاشيته بأنهم تجبروا ، وأخذوا أموال الناس بالباطل ، وطلب منهم أن يقوموا معه من أجل الله ونصرة الحق . وقد اعترف بعض الامراء الذين قبض عليهم بأنهم وافقوا الخليفة ، واتفقوا على نصرته ، وأن هذا تم في بيت الخليفة بجزيرة الفيل . . وأنكر الخليفة حدوث ذلك ، فاغتاظ برقوق ، وسل سيفه عليه ، ولكن كبار الامراء جالوا بينهما ، وسكنوا من غضب السلطان الذي استدعى الفقهاء — فيما بعد — وطلب منهم فتوى بجواز قتل الخليفة ، فرفضوا ذلك وانصرفوا عنه ، فأمر بسجنه في القلعة ، وأعلن خلعه ، وتولية ابن عمه الواثق بالله عمر (١) ولم يستطع برقوق أن يستمر في حبس المتوكل أكثر من ثلاثة شهور بعد أن شفع فيه كبار الامراء ، فأخرجه من سجنه ، وأنزله بدار في القلعة ، وأحضر اليه أهله فأقاموا معه .

ورواية المقرئ لهذه الحادثة تشير الى أن محاولة الخليفة كانت أوسع مدى . وأن الامراء الذين وافقوه قد اتفقوا على أن يتنقلوا بالخليفة في حال فشلهم الى الفيوم ، ويدعوا القبائل العربية في الصعيد الى القيام بنصرته ، كما ذكر أيضا أن الخليفة كاتب في هذا الامر بعض زعماء العرب في البحيرة وطلب منهم النصرة والوقوف الى جانبه (٢) .

وواضح أننا أمام خليفة حاول أن يقف من أعمال المماليك غير المشروعة كإغتصاب السلطة ، والعسف بالرعية موقفا إيجابيا .

ومع ما أنزله برقوق بالخليفة المتوكل من السجن والخلع والتخلف فانه اكتشف مدى حاجته الى تقوذه الروحي عندما خرج عليه والى حلب « يلبغا الناصري » واستبد بمعظم الشام ، وبدأ يستعد للزحف على القاهرة وكان ذلك بعد ستة أعوام من إبعاد المتوكل عن الخلافة ، فأرسل برقوق في طلبه في جمادى الأولى من عام ٧٩١هـ - ١٣٨٩هـ وأعاده الى الخلافة ، وطلب من القضاة أن يحلفوا كلا منهما على الموالاة والمناصرة للآخر ، وخلع السلطان على الخليفة ، وأذن له في العودة الى داره ، وأعاد اليه أقطاعاته ورواتبه ، وبعد أسبوع من حدوث ذلك ، طلب السلطان من الخليفة أن ينزل الى الناس في القاهرة ، ومعه نائب السلطان

(١) تم ذلك في يوم الاثنين اول رجب سنة ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ .

(٢) السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٩٣ - ٤٩٥ .

والفضة ليحضر الناس على قتال « يلغا » ويلغهم بما أزاله السلطان من المكوس والمظالم ، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته (١) .

وواضح من هذا أن برقوقا حاول أن يستفيد الى أقصى مدى من تفوذ الخليفة الروحي في مواجهة عدوه ، وفي الواقع فإن خصمه يلغا كان قد سببه أيضا الى استخدام هذه الورقة الرابعة في التشنيع على برقوق في بلاد الشام ، فيذكر المقرئ : أن يلغا كان يشنع على برقوق بأمور أكبرها سجن الخليفة المتوكل (٢) .

وظل برقوق على احترامه للخليفة المتوكل حتى بعد أن تمكن من العودة الى السلطة بعد خلع على يد يلغا الناصري ، واشترك الخليفة في اقرار هذا الخلع ، وفي اصدار فتوى تدين برقوق ، وتتهمه بالفساد والاساد ، والاستعانة بالكفار على قتال المسلمين (٣) فعندما انتصر برقوق على خصومه في المحرم سنة ٧٩٢ هـ - ١٣٨٩ م عند أبواب دمشق ، ودان المتوكل في صف الخصوم لم يفعل معه برقوق شيئا ، واتما طمأنه ، ونسب خاطره ، وخلع عليه (٤) .

لم يحاول برقوق أن يسلك مع الخليفة سلوكا عدائيا بعد أن استوعب الدرس جيدا ، وأدرك أن سوء معاملته للمتوكل في الماضي كانت من بين الاسلحة التي استغلها خصومه في التشنيع عليه ، وإثارة الجند والناس ضده .

وتوفي المتوكل عام ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ في عهد الناصر فرج بن برقوق ، وبويع ابنه المستعين أبو الفضل العباس بالخلافة ، وفي أواخر عام ٨١٤ هـ ١٤١١ م ثار عدد من أمراء الشام على الناصر فرج ، وكان على رأسهم المؤيد شيخ الحمودي ، ونوروز الحافظي وغيرهم ، واستطاع هؤلاء الأمراء أن ينتصروا على الناصر فرج الذي فر أمامهم الى دمشق ، ووقع الخليفة المستعين الذي كان يصاحب السلطان بأيدي هؤلاء الأمراء ، فحاولوا أن يستغلوا ما للخليفة من تفوذ روحي في حربهم ضد الناصر ، فاتفق أمرهم على اقامته سلطانا « لتجتمع الكلمة في رجل واحد ، ويجدوا بذلك سبيلا

(١) النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢٧٠ .

(٢) السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٥٩٤ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٣٥٩ - ٣٦١ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٦٧ - ٣٧١ .

لقتال الملك الناصر واقتلال الناس عنه « (١) وفعلًا تحقق الهدف الذي سعى إليه عندما ركب المستعين وبين يديه الامراء ، وأمر أن ينادى على أبواب دمشق أن أمير المؤمنين خلع الناصر من السلطنة ، ولا يحل لأحد بعد ذلك مساعدته ولا القيام بنصرته : ويذكر أبو المحاسن - وهو صهر للناصر - أن أهل دمشق عندما سمعوا هذه المناداة انحلوا عن الناصر « وخافوا عاقبة مخالفة أمير المؤمنين في الدنيا والاخرة » ثم يقول أيضا عن الامراء الثائرين « ولولا الخليفة ما انتظم لهم أمر ، لعظم ميل التركمان والعامّة للملك الناصر » (٢) ومن حينئذ أخذ أمر الناصر فرج في ادبار الى أن قتل في ليلة السبت السادس عشر من صفر سنة ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م بقلعة دمشق (٣) .

وحين بويع الملك المنصور فخر الدين عثمان بن السلطان أبي سعيد جقمق العلاني بالسلطنة في أوائل عام ٨٥٧ هـ - ١٤٥٣ م حضر الخليفة القائم بأمر الله حمزة حفل التقليد بالقلعة ، فجلس السلطان على كرسي الملك ، وأجلس الخليفة على يمينه على الأرض ، فعظم هذا الأمر على الخليفة ، وأسرها في نفسه ، حتى أعلن الأمير ابنال العلاني الثورة على المنصور ، فأظهر الخليفة الميل الكلي لابنال ، وأعلن خلع المنصور على الملا أكثر من مرة أثناء اندلاع المعارك بين الفريقين « فقوى بذلك قلب أصحاب الأمير ابنال حتى تم لهم خلع المنصور في ربيع الاول سنة ٨٥٧ هـ - ١٤٥٣ م وتمت يعة العلاني ، وقد حفظ ابنال للخليفة هذا الفضل بعد أن تم الأمر له ، فرفع محله أضعاف ما كان أولا ، وزاده عدة اقطاعات ، وصارت له حرمة وافرة في الدولة فترة من الزمن (٤) .

هذه نماذج لمواقف من بعض الخلفاء العباسيين في هذه الفترة توضح لنا مدى ما كان لهم من تأثير روحي ، وأن هذا التأثير كان يستغل أحيانا لترجيح كفة واحد من المتنافسين على النفوذ والسلطان ، كما تشير الى أن هؤلاء الخلفاء لم يبقوا جميعا موقفا سلبيا تجاه ما تموج به الدولة من حوادث ومشكلات ، وانما كان منهم من شارك في صنع الاحداث وتوجيهها الامر الذي ينفي تماما حكم التعميم الذي سحبه المؤرخون المحدثون على

(١) النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ج ١٣ ص ١٩٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٤) انظر : القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٢٧٥ .

خلفاء هذه الفترة : من « أن خلافتهم كانت مظهرا شكليا ، وأن بيعة الخلفاء للسلطين كانت أمرا صوريا لا يقدم ولا يؤخر في توطيد عرش السلطان أو عززته » .

بقيت القضية الأخيرة : وهى مدى اعتراف العالم الاسلامى بنفوذ خلفاء القاهرة عليهم ، وبالنسبة لهذه النقطة يحسن بنا أن نفرق بين موقفين : موقف الدول الاسلامية الكبرى الماصرة لدولة الممالك ، وموقف الدويلات الاسلامية الاخرى ، أما الاولى ، فلم يسع حكامها الى الحصول على تقليد من الخلفاء العباسيين فى مصر بحكم بلادهم ، ولم يكن هذا الموقف - فى ظنى - نابعا من الاستهانة بخلفاء بنى العباس فى القاهرة ، وانما لان هذه الدول كانت ترى فى محاولة استمداد شرعية وجودها من الخليفة نوعا من الاعتراف الضمنى بنفوذ سلاطين الممالك عليهم اذ أن الخلفاء كانوا عقب مبايعتهم بالخلافة مباشرة يفوضون الى هؤلاء السلاطين تصريف كل ما هو موكول اليهم من شئون البلاد والعباد (١) فاذا أضفنا الى ذلك أن علاقات الممالك بهذه الدول الاسلامية الكبرى المجاورة لهم لم تكن علاقة تعاون ومودة ، وانما ساد هذه العلاقات الحروب والمنازعات ، والصراع على توسيع رقعة النفوذ والسلطان أدركنا السرفى احجام معظم هذه الدول عن الحصول على تقليد من الخلفاء العباسيين ويأتى فى مقدمة الدول المشار اليها : دولة ايلخانات المغول فى بلاد فارس والعراق بعد أن أسلم ملوكها ثم دولة الأتراك العثمانيين فى آسيا الصغرى ، وأخيرا دولة تيمور لنك ، فهذه الدول كانت روح العداء والاعتداء تسيطر على علاقاتهم بدولة الممالك فى معظم الأحيان ، ولم يكن من المتوقع أن تسعى أى منها لاختضاع نفسها - ولو من الناحية الشكلية - لدولة الممالك ومع ذلك فان الخليفة العباس المستجد بالله أبو المحاسن يوسف تطوع بارسال تقليد الى السلطان العثمانى ، وذلك عندما توسط لاقرار الصلح ، واخماد الفتنة بين السلطان العثمانى « بايزيد الثانى » والسلطان الاشرف « قايتباى » وذلك فى عام ٨٩٠ هـ - ١٤٨٥ . فقد توجه الامير « جاني بك » الى اسطنبول يحمل رسالة مودة من قايتباى ، وبصحبه تقليد من الخليفة العباس للسلطان بايزيد بتوليته على بلاد الروم ، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفر ، ويحمل أيضا رسالة من الخليفة تطالب السلطان العثمانى باخماد نار الفتنة التى أوشكت أن تبدلح بين العثمانيين وسلاطين الممالك ، ولكن مهمة هذا الرسول على ما يبدو لم

(١) انظر : القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٢٧٥ .

تكلل بالنجاح ، فقد عاد جاني بك ، وأخبر قايتباي بأنه لم يلق قبولاً ولا
إكراماً من سلطان العثمانيين (١) .

أما الدويلات التي كانت تربطها بدولة الممالك علاقات حسنة ، فإنها
لم تتردد في أن تستمد شرعية حكمها من اعتراف الخليفة العباسي في القاهرة
بها . ففي العام الذي بويع فيه المستنصر أبو القاسم أحمد أول الخلفاء
سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦١ كتب الظاهر بيبرس لأولاد بدر الدين لؤلؤ
(صاحب الموصل) تقاليد بيلادهم التي فوضت إليه من قبل الخليفة (٢)
وفي علم ٦٦١ هـ - ١٢٦٢ أرسل بيبرس رسلاً إلى السلطان بركة خان
المغولي ، ومعهم كتاب بمبايعة الخليفة أبو العباس أحمد ، ونسخه من
إثبات نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل بركة خان رسلاً
من قبله في رمضان من العام نفسه ، فخلع عليهم الخليفة ، وسلمهم تفويضاً
منه لبركة خان (٣) .

وفي عام ٨٣٣ هـ - ١٤٢٨ أرسل سلطان البنغال في الهند : جلال الدين
أبو المظفر محمد بن فندو كتاباً على يد رسولين يطلب فيه أن يفوض إليه
الخليفة العباس سلطنة الهند ، فجهز له التقليد من الخليفة ، وأرسل إليه
فرد على ذلك بارسال هدايا إلى القاهرة (٤) .

وفي عام ٨٧٦ هـ - ١٣٧٤ أرسل الملك غياث الدين محمد سلطان
بلاد الهند رسولاً يحمل هدية للسلطان ، وللخليفة المستجد بالله يوسف ،
ويطلب تقليداً من الخليفة بولايته على إقليم الهند ، فكتب له الخليفة تقليداً
بذلك (٥) .

ويضم من رواية السخاوي في كتابه : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
أن ملوك الهند احتفظوا بعلاقتهم الوثيقة بالخلفاء ، وأنهم أرسلوا هدايا
إلى الخليفة العباس المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز المتوفي في عام
٩٠٣ هـ - ١٤٩٧ (٦) .

(١) ابن أبياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٥ ص ٥٢٥ ،
٥٢٩ ط الشعب .

(٢) السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٥٧ - ٤٦٢ .

(٣) قطب الدين موسى بن محمد اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج ٢
ط الهند ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ .

(٤) السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٩٢٤ - ٩٢٥ .

(٥) بدائع الزهور ج ٤ ص ١٣١ .

(٦) الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٣٦ القاهرة ١٣٥٤ هـ .

ولعل خير شهادة نختم بها هذه النقطة قول العلامة ابن خلدون عن
الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد المتوفى سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥
والذى كان ابن خلدون معاصراً له فى القاهرة « وما زال ملوك الهند
وغيرهم من ملوك الاسلام بالنواحى يطلبون التقليد منه ، ومن سلفه بمصر
ويكاتبون فى ذلك ملوك الترك بها من ملوك بنى قلاوون وغيره فيجيبونهم
انى ذلك ، ويعثون اليهم بالتقليد والخلع » (١) .

وبعد : فهذا البحث خطوة على الطريق فى مجال أظنه مازال الى اليوم
بكراً ، وأنه يتسع لجهود كثير من الباحثين ، حتى تسهم جهودهم فى لقاء
الضوء على هذه الفترة المهمة من تاريخ الخلافة العباسية .

الخلفاء العباسيون بمصر

- المستنصر : أبو القاسم أحمد : (٦٥٩ - ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ - ١٢٦١) (١)
 الحاكم بأمر الله : أبو العباس أحمد : (٦٦١ - ٧٠١ هـ / ١٢٦٢ - ١٣٠٣) (٢) .
 المستنفي بالله : أبو الربيع سليمان بن الحاكم : (٧٠١ - ٧٤٠ هـ / ١٣٠٣ - ١٣٤٠) (٣)
 الواثق بالله : إبراهيم بن محمد بن الحاكم : (٧٤٠ - ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ - ١٣٤١)
 الحاكم بأمر الله : أحمد بن أبي الربيع : (٧٤١ - ٧٥٣ هـ / ١٣٤١ - ١٣٥٢)
 المتعز بالله : أبو بكر بن أبي الربيع : (٧٥٣ - ٧٦٣ هـ / ١٣٥٢ - ١٣٦٣)
 المتوكل على الله : أبو عبد الله محمد بن المتعز : (٧٦٣ - ٧٨٥ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٨٣) (٤)
 الواثق بالله : عمر بن إبراهيم : (٧٨٥ - ٧٨٨ هـ / ١٣٨٣ - ١٣٨٦)
 المستعصم بالله : زكريا بن إبراهيم : (٧٨٨ - ٧٩١ هـ / ١٣٨٦ - ١٣٨٩) (٥)

- (١) بويغ في القاهرة في ١٣ من رجب عام ٦٥٩ هـ وقتل في المحرم سنة ٦٦٠ على يد التتار في شمالي العراق .
 (٢) بويغ في القاهرة في المحرم ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ .
 (٣) نفى في ذي الحجة سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ الى قوص لخلاف بينه وبين السلطان الناصر محمد بن قلاوون ولكنه لم يخلع من الخلافة ، وظل في منصبه حتى مات في شعبان عام ٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ وعهد الى ابنه أحمد ، ولكن السلطان لم يرض عهده ، وباع إبراهيم ابن أخيه بالخلافة ، فبقي بها الى أن حضرت الناصر محمد الوفاة في أواخر عام ٧٤١ فأوصى بأن تعاد الخلافة الى أحمد ابن المستنفي فبويغ في ذي الحجة عام ٧٤١ هـ وتلقب بالحاكم بأمر الله .
 (٤) خلع في رجب سنة ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ .
 (٥) خلع في جمادى الاولى ٧٩١ هـ .

- التوكل على الله : أبو عبد الله محمد بن المتعضد : (٧٩١ - ٨٠٨ هـ / ١٣٨٩ - ١٤٠٦) (فترة ثانية)
- المستمع بالله : أبو الفضل العباس بن المتوكل : (٨٠٨ - ٨١٦ هـ / ١٤٠٦ - ١٤١٤) (١)
- المتعضد بالله : داود بن المتوكل على الله : (٨١٦ - ٨٤٥ هـ / ١٤١٤ - ١٤٤١)
- المستكفي بالله : أبو الربيع سليمان بن المتوكل : (٨٤٥ - ٨٥٤ هـ / ١٤٤١ - ١٤٥١)
- القائم بأمر الله : أبو البقاء حمزة بن المتوكل : (٨٥٤ - ٨٥٩ هـ / ١٤٥١ - ١٤٥٥) (٢)
- المستنجد بالله : أبو المحاسن يوسف بن المتوكل : (٨٥٩ - ٨٨٤ هـ / ١٤٥٥ - ١٤٧٩)
- التوكل على الله : أبو المز عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل : (٨٨٤ - ٩٠٣ هـ / ١٤٧٩ - ١٤٩٧)
- التمسك بالله : يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب : (٩٠٣ - ٩١٤ هـ / ١٤٩٧ - ١٥٠٨) (٣)
- التوكل على الله : الناصري محمد بن يعقوب بن عبد العزيز : (٩١٤ - ٩٢٣ هـ / ١٥٠٨ - ١٥١٧) (٤)

(١) خلع في ذي الحجة سنة ٨١٦ بعد ان جمع بين السلطنة والخلافة في المحرم سنة ٦١٥ ونفى الى الاسكندرية .

(٢) خلع في جمادى الاولى ٨٥٩ هـ ومات في عام ٨٦٣ هـ .

(٣) تنازل عن الخلافة لابنه ، وذلك لكبر سنه ، وضعف بصره ، وذلك في شعبان سنة ٩١٤ . وتوفي في ربيع الآخر بالقاهرة سنة ٩٢٧ هـ وابنه في المنفى باسطنبول .

(٤) انتهت خلافته على يد السلطان العثماني سليم الاول في اوائل عام ٩٢٣ هـ ١٥١٧ ، ونفى الى اسطنبول ثم عاد الى القاهرة . بعد وفاة سليم وتوفي بها في ١٢ من شعبان عام ٩٤٥ هـ . وهو آخر الخلفاء العباسيين بمصر .